الصفرة ذات المسايير

الصفرة ذات المسايير

أمير شمعون

ISBN 9789773120207

© Willows House 2021

الطبعــة الأولــى: 2021 منشورات ويلوز - جوبا

جميـع حقـوق النشـر محفوظـة للناشـر، ولا يحـق لأي شـخص أو مؤسسـة أو جهـة، إعـادة إصـدار هـذا الكتـاب، أو جـزء منـه، أو نقلـه، بـأي شـكل أو واسـطة مـن وسـائط نقـل المعلومـات، سـواء أكانـت إلكترونيـة أو ميكانيكـة، بمـا في ذلـك النسـخ أو التسـجيل أو التخزيـن أو الاسـترجاع، دون إذن خطّـيّ مـن الناشر.

All copyrights are reserved to the publisher, and no person, institution or entity has the right to reissue this book, or part of it, or transfer it, in any form or medium of information transmission, whether electronic or mechanical, including copying, recording or storing Or, without written permission from the publisher

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي النَّاشر

Willows House
منشـــورات
ويلوز هاوس

جنوب السودان، جوبا، كاتور، مربع ٨ جوار مركز جيران

www.willowshouse.net
www.jubabok.com
gatawillow@gmail.com
willowshouse3@gmail.com
+211927302302

الصُفْرة
ذات المسَاير

نصوص*

أمير شمعون

Willows House
منشـــورات
ويلوز هاوس

إليهِم؛

طيورُ (زانقدروك بيرلي) الصُفْر،

قال لي أصغَرُهم، ذات ليلةٍ، مُشِيراً لطائرةٍ تمّر فوقنا:

(الآن،

وقد أبكى هذا الألُم الحديديُّ روحَ السماء؛

فَعَلينا مَسْحُ دَمْعِها)

أخذ يدي ومسح بها جبينه، قائلاً:

(نعَم، هكذا)

المِبْصارُ وما بَهَقَ مِنْ سِرِّه

١

المُنْجَـذب إلى قَعْـرِ الصُفْـرة حيـث الملـكات الكوشـيّات يَعْـصِرْنَ السـبرانو داخـل كفوفهـنّ حـتّى يكْـسِرْنَ عظمـه،

يهْتِفْـن بالمُنْجـذبِ؛ مُشـيراتٍ لدمـاءِ السـبرانو السـائلة بـين أصابعهـنّ:

((يا وَلَد،

بدأ التفسيرُ،

فأخْلعْ أنحاءك لِتُلَحّن))

يَضَعْـن صُفْرتَـه عـلى أفخاذهـنّ كالدلاليـك ويُلَحنّـه وهـنّ يَأكُلْـنَ أنحـاءه ومِـن بـين شـفاهن تطّايـر التمائـم (والبخـرات)

يُلَحْنّه فائراً أزرقاً كتراتيلِ البوذيين،

يُلَحِّنّـه مُبْتَـلّاً مُبَلَـلاً بالقصـص كَحوريـاتِ المـاء؛ وهـنّ يُعلِّمْـن الكامـلَ لـذّة أن يَنْقـص، والأبـديَّ شِـعْر أن يَفْـنى

يَضَعْن حلماتهنّ بين شفتيه ويُلِحْنَه ألمَهنّ؛

يصرخُ:

(كفاي صُفْرة؛ هائلٌ آدمكنّ هذا!)

يصْرخن:

(بابٌ واحدٌ؛ ونَكْفُرْ

رُعْبٌ أخيرٌ؛ ولا معنى)

يَحْلبن عليه الدارما ويكْوِينه بالنمور.

والسبرانو؟

أمُّـه الثاكلـةُ بـين الأجـرام والنجـوم تَمْـصُرُ تلحـينَ الملـكات بكفيّهـا حـتّى يقطـر منـه الأولاد الصُفْـر، تَتَشَـمّمهم، وتصيـح:

(هذا وَلَدي مُقطّعاً إلى جِهات؛

وَلَدي سبرانو المسكين)

تَهشّـه مُسْـتبْصراتٌ يَنعَقْـنَ مـا كُنّـه في جنـينِ الديمومـةِ فَيُجَذَبـنَ أقـصى مـا رسـمتْ أياديهـنّ عـلى الرمـل مِـن ممالـكٍ تـسْرحُ بالعراريـقِ والطَـواقي ومسـابح اللالـوب في سـوق اللصـوصِ الفضـائيّ؛

يُجْذَبْـنَ لاهثـاتٍ أقـصى لهـاثِ مـا كانَـهُ الضَـبُّ الغرقـان في

الكتــف؛

الكتـفُ الترتيـلُ الريـحُ اليابسـةُ الملتصقـةُ بحـذاءٍ مِـنْ سـماحةِ الهَـوْلِ يَلْـدغ،

يَصْهَلـنّ قعـوراً ودراويـشَ رَمّالـةً وباعـةَ (مَـرَرَو) فُتِنـوا بـين الحديـد وتفسـيرِه بينمـا الشُّـهبُ تلـدغُ سكسـكهم داخـل بيـت السُّـم؛

السُّـم المفتـون بآخـر نقـرةٍ نقرهـا الصّفـارُ عـلى بـابِ نفسـه قبـل أن يصـير تأويـل البـابَ المفتـوح عـلى رشـاقةِ فهـدٍ أسْـمرِ القلـب؛

فهدٌ تأويلُ نجمةٍ بقبلةٍ حرام،

فيُبْـصِرن الخَلْـع يـأكل جناحيـه ويطـيرُ أمْـرداً ثـكّالاً كأثـرِ عضّـة عـلى سـاق البرجـل

هكـذا مفتونـون جميعـاً بجـزام النظـرة الأخـيرة عـلى وجـهِ الجبـل قبـل أن يصـير أثـر صفعـةٍ عـلى ردفِ الرِّيـح،

مفتونـون بصيـاح التماثيـل وهـي تكبـح الخلـود بحبـال السَـجْع؛ فيرميهـا بنّـاؤو شـجر الأبديّـة بالكتـب النائمـة تحـت وشـومهم، يرمونهـا بالجُـزُر العالقـة كقطـع اللحـم بـين أسـنانهم؛

يصيحُ بهم الخلود المكبوح:

((يـا للمعـدن؛ أخـي، والمزارعـون السـود يَخْتِنـون قناديـلَ خوفِه

بنَدَمِ الشـعراء!)

مفتونون بِريقِ الكريستال؛

الرّيـق المُحمّصـة داخلـه يدَ الظلمـة العارفـة؛ الظُلْمـة المُصَدِّقة كونِهـا قمـر ميْـت؛ ليـس أكثر

مفتونــون كحــالِ كلّ ظُلْمــة تســأل الله قبــل أن تُقبِّــل الولــد الأصفــر:

((أيهما يا ربّي سَيودّ هذا الأمرد الفاتن؛ نَدَمي أم نَصْلي؟))

مفتونــون بالنّصْــل بينمــا النَهريّــاتُ الكوشــيّاتُ العميــاوات يُطَلّحْنَـه للكريسـتال بقليـلٍ مِـن الـشرف وبكثـيرٍ مِـنْ بـولِ الجّـن

مفتونــون بدوائـرٍ تضـع الريـحَ أسـاور حـول معصمهـا وتخـبّ متّجهـة ناحيـة التلحـين حاملـةً رِقَّ الخليـل ومَطَـر الفلاتيّـة؛

التّلحين ذو الذّكَر الفضيّ والأقراط الدخانية والوشوم

مفتونــون بالبوذيــين وهــو يربطــون الــبروق في ســواعِدِهِم (كالحريــرةِ)، ثـم ينهالـون عـلى قلـبِ الكريسـتال بـكاءً، وهُـمْ يُرتِّلــون:

(الأبديّةُ تَتَقَدَّد مُذ سحنتها أحلامُ النّبات

ومُـذْ عـلى نصْـلِ الفـأس المُذَهّبـة زرعنـا جبـال النيـون، فعَبَـد الفـراغُ نَصْـلَ الفـأس القاتلـة،

ومُذ أوّل كلمة عشّرت عظمها بلسانِ العدد

ومُذ الكُتُب سبيب هادرٌ كالسيل في قلبِ الفهد الأسمر

ومُـذْ الهـول يَفتـق قليـلاً قليـلا مـن وشـوم النمـوذج عـلى ظهـرِ هـا أفـنى في الحـبّ ولا أبـالي

مُذْ الحركة مَعْدن والسَكْتة صلصال والنور جسد

مُذْ رئتاك يا حبيبي سِيَرٌ طار بها الألمنيوم ناحية المقصلة

مُـذ كلّ هـذا النـدم ونحـنُ نَهْـرفُ معـانٍ تَسّـاحق تحـت شـجرة التـوت وصفـيرَ الأعـدادِ؛ صَفيرُهـا الجَسـد في الجَسـد؛ صفيرُهـا بـابُ أنْ عـلى كفِّـكَ ينـدم الجسـدُ بـلا جَسَـدْ، مَعْـانٍ لَـمْ تَخْـبُر الرّعـب والنـدم؛ سـوى رُعـبِ أن تسـعد بـلا خجـل ونـدمِ أن تـرى الخلـودَ بعـينِ جَبـل))

مفتونـون جميعـاً بكشكشـة الجـوع داخـل مـصرانِ لـن يكـون لـك مـن هـذه المجـرّة إلّا خيـش وصفهـا

مفتونـون جميعـاً بالجيـش المُدَسْـتر داخـل صناديـق الكبريـت الفارغـة

مفتونـون جميعـاً، سـوى هـذا الولـد، برقّتِـه الـتي تشـبه قـرن الغـزال، بالغـزال

مفتونـون بأحزمـةٍ صوتيّـة يربطهـا خيـالٌ صغـيرٌ حـواليّ خـصر هـذا الولـد الأصفـر؛

الولـدُ المُسـمّرُ بألسـنةِ أسـلافِه؛ ضاربـو الدفـوفَ الكونيّـة، عـلى بهـق المبصـار، صائحـاً:

((هأنذا يا ربّي أعزلٌ وبِلا مُطْلقٍ سوى عصفُ جسدي،

ومَرْوِيّاً بدفوفِ أسلافيَ كذيل الغزال))

مفتونـون بخيميـائيّ رأى الذهـب في البواسـيرِ، فمنعتـه رقّـة الولـد الأصفـر مِـن الـشِّرْك

مفتونـون بـ(كنـوز محبّـة)، والأكورديـون يعْلـم الـسِّرَ؛ لكنّـه، كعـادة قميـص يـوم الجمعـة، لـن يتكلـم

هو الخلعُ إذاً؛

الخلْـعُ الـْ يُجْـذَبُ وسـقاته المُسَرْنَمـين داخـل كهـوف لونيّـة؛ السُـقاة الرقيقـون ككهـفٍ يبـكي بـين يـديّ نَـبيٍّ ناسـك

خَلْـعٌ ذِهـابٌ إلى الحُجّـة المطويـة بعنايـةٍ رقميّـةٍ كيـأسٍ محبـورٍ داخـل نخلـة

هـو ذهـابُ القطـنِ في الجلبـاب إذاً؛ أمْ حَفْـرُ الأصـوات العاسـلة في شـقوق الدميـرة بأصابـعِ القابـلات الْمُدَرَبـةُ عـلى قَلـقِ النَـثْر والقريـض؟

أمْ ذهـابُ الشـفير الـذي يقطـر أولاداً صُفْـر إلى كهـفِ العَـدَد التاسـع والتسـعين في المسـبحة؟

ذهـابٌ جُنَـحٌ تتـبرّز المعـادنَ، بينمـا النبـات في تعريصـةٍ نيليّـة نـادرة يحمـل إبريقهـا الضـوئيّ، ويُدنـدن:

((طَقْ، طَرَقْ، يا تيتل))

جُنَـحٌ هـي مومياوات مَـنْ جُذِبـوا ودفوفهـم نحـو كتابـة بالفحم عـلى بلغـم التاريخ:

((يَرِثُ النايُ حبّة الوَلَد،

وكَمَن يُخنق بين لسانيْن؛

يتساحقان؛ دَفُّ الخيالِ وطَارُ النَدَم،

تحت لسان الجبل))

إذاً،

هـي تَركـةُ البحـرِ المـلآن طحينـة؛ هكـذا بسْـمَلَ الغريـقُ قَبْـل يأكلـه السـمك

هـي تَرِكـةُ مَـنْ تَعَفَّـن مـن نـورِه؛ نـوره المشـتاق لسـاقيّ حِـبْرٍ وقلـبِ بَحْـر

هـي تَركـةُ مَـنْ صهـلَ جـروحَ الكواكـبِ في قَعْـرِ قَيْـدِه؛ القيـدُ المشـتاق لقـرونِ تيْتـلٍ وثقْـلِ ليـلٍ ورَجِـمِ بـئر

والقعْرُ؟

ليس إلا ما هيأَ الموتُ للنور المهجور بلا رِقّة داخل حذاء البان مِن ْخشبٍ رنّانٍ وهندسة

القعْرُ!

ليس سوى شائخٍ يَتَحنَّن داخل ماسّةِ الهَجْد

وتفسير القعْرُ؟

ليس سوى هجد مُشَخَّتٍ بِعِرْفةِ قارئاتِ الوَدْع المُنشغلات يفلّيْن الصمت المُبْتَسم مِنْ كثرة زهورِ صباح الخير في حُلْمِه؛ عِرْفَتهُنّ الغُرَّةُ في جبينِ الريش

يا لقارئات الودْع وهنّ يَشِخْنَ عِرْفَتهنّ بلا فهودٍ وبلا نسور؛ فقط، جِيَف الغطّاسين ناعسة تحت حجولهنّ النحاسيّة، فقط، طيور ودْ أبْرك تَعشُّ داخل مسايرهنّ، فقط، حاديهنّ اليتيم يحدأ تائهاً داخل دروبَ الإبل الممطمورة في عقودِ السكسك حول رقابهنّ، فقط، الغجريّ الحدّاد؛ خَصِيِّهنّ، وهو يشْحَذ البروقَ بحديثهنّ مُغَنِّياً:

((أنا زعلاااان،

زعلان يا دُنْيا))

يَنْهَبُهُنّ الوجدُ فَيلدن الأغصان مبلولةً بِتقّابات الكوشيين؛ إلّا غصنُ رقّة الولد الأصفر؛ تُخْرِجُهُ التُقّاباتُ مِنْ نمورِ الوَرْدةِ المرسومةِ بالحناءِ على ساق ليْلهنّ

يـا لرقّتـه المبلولـة المُبَلّلـة بركـضِ الجامـوس ومصاهـرِ الحديـد وعُطـاسِ البـارود وصهيـل الخيـول!

يا لرقّته الجبليّة ذات النيران الخالدة والمنجنيق الحسابي!

يـا لرقّتـه والشـلّالات تتكـسّر كقِـشْر البيـضِ عـلى مُطْلَقِهـا عابـدِ الطواويـس!

يـا لرقّتـه ذاتِ الزُّمـام والفسـاتين القصـيرة والضفائـرِ المسـقِيّة بجمـوحِ عَبَـدَة النـار الزيتيّـون!

يـا لرّقتـه ذاتِ الأولاد الصُفْـر؛ والأولادُ يلِـدون المصابيـح المُلْسِـنة عـلى كتفهـا!

يـا لأثـرِ ندمـه الفلفـليّ الحـارّ عـلى حُـرّاسِ الـدُروبِ إليـه؛ حـتّى أنّهـم عبـدوا دموعهـم!

يـا لشـبابيك اللحـم يـبرز منهـا الخلـود وهـو يجـزّ لحيتـه الشِّـعْرَ بمناجـل الخالدين!

يـا لخلـود رقّتـه غـير المكترثـة بصفـير الملائكـة وهـم يُهلّلـون لعربـة الفَسِـيخ أثنـاء ولادة الحقيقـة داخـل ثـدي الخلـود!

قارئاتُ الوَدْع وهنّ يتْلِيْن:

((جذوتنا منازلُ رُتَق وعويشُ قُمّار

جذوتنا هبايبُ رقص،

جذوتنا سفرٌ في البَخْتِ

جذوتنـا هـذه الجِيَـف الـتي تومـئ والهـةً ناحيـة قمـاش الدَبَـلان

جذوتُنـا دَلاليـكُ (تتمحْـرك) تحـت ياقـة السـيْل وهـو يحـكي للـوادي:

((واللهِ،

كُـنّ يُرْضِعـن الـوَدْعَ أحلامهـنّ وسـطِ تصفيـق الكواكـبِ وتكذيـبِ (بَحْـر أحْمَـرْ)

واللهِ،

كُنّ يَكْتُبْن التَلْحين أمْرَداً بمَراوِد اللبنِ على حجارة (دار صَباح)

واللهِ،

كُن يُبَبِّسْن رجالهنّ كالتمرِ في حيشانِ الألحان

واللهِ،

كُنّ يرسْمِن الفهود على لسانِ المَلِك))

فيا الهفيف

يا المُسْهِبُ في البَلّور

يا المُتَرنّح كحبلِ السّرة في الصّلصال ظانّها الصَّلْصَلة

يا الأدْرج

يا الأحمر كالمُحِبِّ في الجّذوة

يا السَائل في نَفْسِه

يا المُزَيّت بالنّورِ

يا المُهَيّق حتّى مَتْلُوّة تحتك المسابر

يا المِبْصار وما بَهَقَ مِنْ سِرِّه

يا المِسْرار وما بَصَقْ

يا الهولُ

يا الولدُ الأصفر كحلمِ فهد

أراني عليكَ أُدْلق

وأراكَ عليّ وكُفُوفُكَ تبيضُ حِملاناً وأكمّات

فأرِكُّ عليك

أُخَرِّز غيمي إليك

فَتَفتح لي فخذيّ الزقاق المُفضي إلى الطلاء البوذي،

فأُبْـصِرُ رَتْقـاً سَـيُفضي إلى عَتمـةٍ سـاهلة؛ أسْـهل مِـن تنهيـدة الليـل في أُذُنِ المَـلاك المشـغول بتدويـن رقّـة الفهـود وهـم يعْـبرون الوجـود أمامـه بـلا نَـدَم، راكبـين ظهـور الـوَرَق، بـلا بَـرادع وبـلا سِروج

وأبْصِرُ عتمةً مقصدرةً بتراتيل الفضائيين و(جَرتِقهم)

وهكذا يا الهول نُجْقم؛

نُجْقَم في القَعْرِ نَفْسه.

نَصّايح:

((النّدامى، النّدامى؛

جُقَمُ النّورِ في خلاءِ البَصَرْ))

هكـذا صـاح الكهنـة المفتونـون بالزيـر الـذي سـقط مِـن السـماء مملـوءً بالسـمك، وهُـمْ يشـيرون لوَحمْـةْ صغـيرةْ في جبـينِ الولـد الأصفر:

((هو الفهدُ؛

هكذا يحلم))

٢

صاحت البئرُ الحيّة المنقوشة في لسانِ الصُفْرة:

شِـبرٌ واحـدٌ في الحلْكـة وأُبْـصِرُ الجّمـالَ يلعـبُ بالبَعْـرِ كموسـيقيٍّ عجـوزٍ لـم يُصـدِّق الجغرافيـا، بَـلْ، ظنّهـا الجـوع.

فيَقْرصها الرعبُ اليابسُ في وَرْكِها، فتصيحُ:

((أنا قَحْبتُك))

هذا الأصفر:

اعُضُّه بسوادي

امْضُقهُ وأعمى

يَبْصقُني ويرى

نتقاحب ونُشَقُّ

نَسْهلُ كفرع ليمون

نُمَـدّد كعجـين الماكرونـة بالنشـابات الرقميّـة بـين الحديقـةِ وتأويـلِ صفرتـه؛

يا للعريكة بين اُلَحّن الولدَ وأُغَنّيه!

يا للحديقة العالقة بذقنه بلا تكلّف!

يا لبيت النورِ المُنْهدِّ على رأسه!

يا للصَواعق النائمة تحت قدميه؛ كَقِطّة!

يا للجروحِ الكونيّة وهي تلمعُ كشالٍ ماسيٍّ حول عنقه!

نُشَفَّرُ كَشِبْرِ تلحين

ونُشْفطُ في الهول ثُقْبين أسْمَرَيْن في النّور وشِبْرينِ في النّار

بينما الولد الأصفر يتلو الأسرّة لجيفِ الغطّاسين غير مكترثٍ بثديه العالق في الرّطانة

وما النّار؟

النّارُ شجرٌ مجذوبٌ؛ يشدّه الثديُّ؛ ثديُ الولد الأصفر، إلى مُطْلق الخطيئة الحرّة؛ الحرّة كالجراثيم مِنْ الكُتْلة؛ شأن (اليءُ كاوي) غزالاً بين أصبعيه؛ شأن مَن مات مُمْسكاً بقرنِ غزالٍ ظانّه حربة عزرائيل، بينما يتهامس حفّارُو القبور الآليين، وهُم يحتسون الشاي قُرْب جثّته:

((يا لقسوة الظنّ؛ المسكين!

أهي المعادنُ ترّاشقُ بالحِيَل، أمْ هُو التلحين؟))

النّارُ طَرَبُ رَملٍ تحت بولِ المشاكك ساعة الباب يَحْدِرُ

للخمـر، بينمـا الجنـود يضحكـون مِـن حَنـكِ السـاقية المُسَّـاقط مِنْـه قراصنـةٌ سـيحكون عـن رقّـة الولـد الأصفـر؛ الـذي مِـن فـرطِ أجنحتـه كان يقـول للبحـر:

((يا هزيمتي))

النـارُ ّاسـفُورُ المـلاونِ في جمـرة كافـرة لهـا عُـرْف ديـكٍ ونـدمُ قَـبْر كان يحلـم بأنّـه كمنجـة (كمنجـة عاديّـة) بـبن يـدي مَعَديّة

النّـارُ عَـوّادون يَرْعُـون المجـرّات بـين يديـه؛ الولـد الأصفـر، وتفاسـيرٌ طينيّـة

وما العَوَّادون؟

طُـرُقٌ، وأشـبارُ عَمـىً سرقـت الصّحْـنَ المملـوء بـأولادٍ صُفْـرٍ مفتوتـين؛

شأنُهم شأن مَنْ يشتهي قمراً خالداً بلا رُعْب وبلا سعادة،

شـانُهم شـأنُ أنبيـاءٌ حُـلاّكٌ يزنـون عيونِهـم داخـل غابـات النيون أمـام تصفيـق البَعاعيت

شـانُهم شـأنُ السّـكتة الضوئيّـة للآلهـة؛ كلمـة الولـد الأخـيرة قبـل أن يـأكل عينيـه ويصـير إلى جَبَـل

٣

يا التُّياهُ

تحت يديّ وجدّتُ يديّ؛ كبرسيمٍ وجَدَ الله بين أضراس ماعز، كَقَمْحٍ وجَدَ التلحين بين حَجَريّ الطاحونة، ومنذها، وما وَجَدتُّ، يفصّد جبينه الحَجَّامةُ الفضائيون، سائلين بعضهم بِيَسْرٍ فاتن:

((كيف لِريشِ يديه أن يتكلم؟

وكيف لم نجد الطواحين، كما وجدَ التَّعَدّدَ هذا الكافرُ؟))

وتحت يديّ ريشكم سيذبل؛

الريشُ نفْسُه؛ المحروسُ بندمِ الخالدين داخل القدور المُتَخَيّلة؛

ريشُ الكوكب المُرِنّ إلى أبدِ لن يتكلّمَ هذا المحار في الطلسم

كلّ هذا وحارساتُ القدورَ ذوات الهياة الرقميّة والأجنحة الصغيرة تحت أحلامهنّ، لن يَنْسين أن يَتَشَمّمن فروج بعضهنّ ويكتبن على لُجنةِ البرق:

((واللهِ،

هو الفهد))

وعلى يديّ سأرى طوطمي في التّيهِ تُغنّيهِ تماثيلُ هَبوب

وسأرى خيولاً تَلِدُ ما سأرى؛ خيولٌ ترّافس والنبوءةَ عالقةٌ بين الجبر وعلم المنطق؛ نبوءةُ أنْ سأنفضُ يديّ عن كل تفسيرٍ سوى جَمالُ أن أصير البابَ قوّاداً في خصية الحرير؛ رُعبُ أُعْجَنُ بكل وِزْرٍ وأصيرُ بلا معنى سوى أنّني بلا معنى، حينها سأمتلئ سماءً وأفنى بِيُسْرْ،

سأهمسْ لها:

((يا الخيول كيف نَهَبَني حَجَر؟

وكيف المياه طعمها مُصْفّرٌ هكذا مثل كُفْرِ جاموس هائم في درب التّبانة؟

وكيف المحالكُ تُيّاه بعضِ الحَجَر؛ وهي تُضَرّي شكّ الجاموس في ريح الولد الأصفر؟

وكيف أرى ما لا يراه حَجَرْ؟))

ستسأل الخيولُ:

((وماذا لم يراه الحجر؟))

سيقول الولد الأصفر:

((أنا آخرٌ همّ بي؛

هذا ما لم يراه الحجر))

سيقول الحَجَر:

((ليس آخر؛

أنا مَن همّ بك))

٤

آتٍ أهرف ثقوباً وآبارْ

أنزّ خطوطاً غامضةً كنحاسٍ يغسل قدميه مِنْ تعب أتلانتس

أنزّ ورَّاقين هَرَّدَ اللّيلُ جِلْدَهم لأنّهم لم يصدّقوا الجواميس

آتٍ أهرف أصابعَ تَسَّاقطُ مِنْ فكٍّ هائلٍ

فأصير حَبْل العارفِ ودبغه

أصيرُ وحل الحيوان وظلفه

وهكذا أرهفُ حدّ أرى الأولاد يوشِمون بندم الجواميس على ساعد الأخرس بواباتٍ سَيُذْبَح تحتها دربهم إلى الكهولة

وأرهفُ حدّ أغلظ وأرى الأولاد وقد صاروا كهولاً وهم يلوكون تحت البوّابة أصابع الورّاقين

وأغلظُ،

أغلظ حد أُوَرَّقُ ولا أندم، بينما الأولاد يَفتّون أصابعهم في

صَحْن النور، قائلين لي بلغة الجواميس:

((أنت،

ستأكل أصابعنا إنْ يشبع النور))

حـدّ أُعـصرُ بـين نهـديّ كَشْـفٍ وأصـير إلى رَنّـة في حليـبٍ كافـرٍ تعـارك وأمِّـه عـلى أبـوّة طينيّـة داميـة،

أتَذأّبُ كُشَّافاً وخَيَّاتٍ وطرابيشَ صُفْر ودبّاغين وكشاكيشَ زار،

وكالولدِ خلف شجرة آدم؛

سأُبْصر لأوّل حَجَرٍ معنى القَذْف

وربّما،

أحلبُ صُفْرةَ رقّتهم بكفيّ أثر خيزرانة على ظهر لا أدري؛

هكـذا رُقيـةً رُقيـةً وطنبـوراً طنبـوراً وجثّـةً جثّـةً وجَبـلاً جبـلاً وكوشـيّاً كوشـيّاً وآدمـاً آدمـاً؛ أتَدَسْـترُ، حـتّى أعـثر عـلى مَـنْ خـانَ رقّـة الولـد الأصفـر

فأيّ تُرْبة ستنجو مني؟

أيُّ مَتْروبٍ؟

أيُّ رَنينٍ؟

أيُّ كَهنةٍ؟

أيُّ رِقّةٍ؟

أيُّ جاموسٍ؟

أيُّ قرن غِزال؟

أيُّ ولدٍ أصفر؟

٥

كهنـةٌ أصْفَـرّوا مِـنْ فـرطِ الفهـود المُبْجِـرة في نفوسـهم، مِـن فَـرطِ الشـموس وهـي تبيـض التلحـين ظِـلِّ تراتيلهـم

ترابٌ مُدَجّجٌ بقماشٍ لا يُرى

عريٌ هائلٌ وقفت الأرضُ على قرنيه تشّاتمُ وصُفْرة الكهنة

تشتمهم:

((ما أنتم سوى شَجَرٌ رُحَّل وهبوبٌ مطعون))

وهكذا

كهـف إثـر كهـف هـي العـودة مـن هـذا الـدم كحمامـةٍ باضـت بـين العنـق والسـيف؛ حمامـةٌ ظَنّـت أنّ للفـراغ معـنىً

وهكذا

قفـزةُ شـوكٍ تـذأّب في البـال ولـم يُصَـدِّق الأجـراس المُعلّقـة عـلى رقـابِ شـعراء كـوش وهـم يُسـاقون نحـو غابـات النيـون وداخـل بطونهـم يُقرقـر الأولاد الصُفْـر.

وهكذا قال غصنٌ لِغُصْن:

((الشّوكُ تَعْميرةْ

الشّـوكُ مَـزّةٌ وزَمهريـرُ كَشْـفْ؛ الشـوكُ المغـروس في خـصيِّ الكهنـة وهـم يهرفـون بغابـات النيـون تحـت البوّابـة الموشـومة عـلى السـاعد))

قال كهفٌ لكهْف:

((السّعادةُ سوادٌ عمره الفُ حَجَر))

قال هبوبٌ لهبوب:

((أنا حِبْرٌ مِثْلِيّ

أنا شجرٌ عُمْره ألف خطيئة))

قال وَرقٌ لورّاق:

((حكّ ظهريَ، حكّه،

حكّه بأظلافِ ما ترى على بطني

حُكّني لأنجو

حُكّني لتُجْذبْ))

قال دَمٌ لِدم:

((فلّني، فلّني،

فُلّ لوني، فالكائنُ ظُلْمة؛

ظلمةٌ جرّحتها الشهبُ ملدوغة برأسِكَ حبيبي على كتفي فما شأنيَ بالبحار تَلِدُ تحت بابي، ما شأنيَ بالتراب مُنتعلاً الأوبرا يبكي ويحلم بالسَمك، ما شأنيَ بمدائحِ المدّاحين مُجَفّفة داخل مكاحلِ الكوشيّات))

قالت أرضٌ لِصُفْرتِهم:

((أحْ مِنْ جَمالكِ يا صُفْرتهم؛

من جمالكِ أح))

٦

القُمّـارُ الأقـزام السُـودُ؛ تواثّـوا وهُـم يغلـونَ النّـورَ في قـدور (بَحَـر أبْيَـض)

قَطّـروا المـوتَ جبـلاً جبـلا؛ فانتهـوا إلى لثغـة الصنـم وهُـم يَعـدّون السـبخات العدديّـة عـلى أصابـع المراكـبيّ الحـارسِ قلـبَ الصَنـم؛ المراكـبيّ الـذي زرع الكُتـبَ في عـكّاز النهـر

يـا للأقـزام السُـود القُمّـار وهـم يُخْرِجـون أكيـاسَ الرمـلِ مِـن آذانِهـم المتقرفصـة قـدّام النّـار تتأمـل معـنى أن تَخْلـد الكتـب داخـل عـكّاز النهـر رُغـم النـار والأولاد الصُفْـر يلَحّنونهـا بِصَـبْرِ كهـف!

يا للأقزام السُود القمّار وهم يُحَرِّفون النور بلسانِ فَهْد!

المُنْتهى إليهم جبلُ النّور

المُنْتَهى بِهِم جَبلُ النّور

الجسدُ داخل الجّسد جبلُ النّور

لَكْمةُ اللّه في بطنِ أقرأ جبلُ النّور

نهبُ الفقيرِ ذهبَ شِرْكِه جبلُ النّور

أصبعُ الأرض المقطوع المُشير لبذاءة عالية جبلُ النّور

إذاً،

أيـنَ ذهـب القُمّـارُ الأقـزام السُـود وعماهـم يُكَشْـكِشُ في صـدأٍ أبـديٍّ حـدّ الجّمـال؟

أيـنَ هُـم والبـئر الـتي لـن تنجـو مِـن العدالـة؛ العدالـة الراكضـة بخيالهـا خلـف نَـدم الأقـزام القمّـار السُـود غـير مكترثـة بتماثيلِ الكلمـاتِ السـائلة مِـنْ دُبْرِها؟

٧

أبدياتٌ نَهِمة

وسُعّار

ومسالخُ نار

ورُحّلٌ بعيونٍ أجنحة

هي كلّ التركة؛

كُلّ التَرِكة يا الصُفْرة.

سانْحر الشَّتْلةَ حتّى شَرَابٌ كفيفٌ يَعْرِفُني،

حتّى يرى الولدُ الأصفرُ الجبلَ الحارن بين ردفيه،

حتّى يُرقَّق هذا المفعول كلّه بالتَّعدّد،

حتّى صبيانُ الصُفْرة وهم يلدون الفهود مُغنّيين:

((مِنْ فِريع البان))

أُلَوّنُ بالعيب كالماء ساعة لا يلبس تاجه الكوشيّ

أرِثُ المـاء وهـو يـضرب ضـوءً أخرقـاً عـلى قفـاه بالعـكّاز المزروعـة داخلـه الكُتـب

أتَبَدَّنُ كالظِّلّ في وحشةِ سقف النيون

هو هَطْلُ شَمْسٍ على فكرةِ اللّيْل إذاً؛ أمْ (جضوم) الميراث؟

أُحَرَّفُ وَسَّام تلك المراكب

هَبْهَابها في مَهَبِّ البَدَن

قَرْقُورها في السَّنَن

وفَكَّتُها

فَكُّها

لَهْجُها في المياهِ البَدَنْ

فَهَلْ حبالُ بي

هَلْ حِبالُ لي

هل حبالِ بي والغَريمُ النّخيلْ؟

٨

هكذا أفْرِدْ عَذَابك وَطِرْ

هكذا تَبَوَّق وينْفُخْنَكَ الحارسات

يَتْلِيْنَ ماءً غَريقاً عليك

يَغْرِفْنَ مِنْ كَفَّتَيْكَ الجِّبال

ويَشْرِبْنَ مِنْ إبْطَيك الذَئاب

٩

يـدٌ هَـوَت في السِّـحاق لألـف عـام لِتَرْجـف، فقـط؛ لِتُفَـسِّر الرّجْفـة،

لِتقْطف منزلة الرِّيق مِنْ قُبْلةِ الضِّيق

لَتَهْزَأهـا الألـفُ عـامٍ كَكُلّ الذنـوب وحيـدة ومُصفَّـدة بعَـرَقِ مركـب نـوح،

كحقيقتـيْن تتـبرّزان ذنـوب الأشـباح المسـافرين في جِماعٍ سريـع؛

جِماع كـفٍّ ظالـمٍ وبنـتٍ حجريّـة

قُطّـافٌ يتناوبـون مَنْزلـةَ الصُّفْـرة؛ الصفـرة الـتي تُدْمِـي وهـي تَعْـصِر دمعـة في العـين

هـا هـم أطيـاف القُطّـافِ يلوكـون فكـرة الـوَرْدِ بـضُروسِ المـوتى، يسـحنونها كالـبنّ عـلى حجـارة الـدم الـذي خلّفـه عَـصْرُ الصفـرة الـتي تدمـي

فيقرأهــم الــدّودُ شــاعراً شــاعراً قبــل يرصصهــم كالطــوب في حلــم المُرَاهِقــة

فيُسْقَوْن دفوفاً بيدٍ خيال؛

اليد التي ستنسى تحت جلدهم معنى الولد الأصفر؛

هكذا أثر جلوسك يا الإيقاع في النهر المثقوب

يُكْشَفونَ على نَمِرة الرّوح في لُغْزها

تصْرُخُهُم:

((غَنّوني وأُخْرَتْ لكم

عَذِّبوني فأُكْشَفْ لَكم

أمْهِلوني أبديّة فأُغْزَلْ بِكُمْ

ساحِقوني فأُسَرْسَبُ كالسِّرّ في رمل هذا الكلام))

١٠

حروقٌ يا جناحي، حُروقْ

كَشاكيش هَذَيانيّة بصقها المطلقُ

واهترأ الفدّانُ داخل الكشكشة

صُوِّرَ الرّحمَ قبل الهيأة

تَظَفّرَ ما كانَه الهَوْل

جَنّ الورقُ (مرّة واحدة)

تسافدا؛ الذّكَرُ والأنثى

ولم يجد الجّناحُ سوى الذِّكْر والرّجل

والرِّيش؟

ظنَّه الفَرْجُ يفهم

والأنثى؟

اهترأ الفدّانُ مرّة أُخرى

والجّناح؟

لم يكن سوى الجّناح،

إذاً،

الغيبُ

والمطلقُ

والرّغبةُ

وسِعْنُ الصرخة

ورقّةُ الولد الأصفر

كلُّها سحقُ المساحة بالمتعدّد؛

كلّها أوزانٌ ما.

والمساحة؟

ليست أكثر مِنْ غضب،

ليست أكثر من واوٍ في وادي الأحْ؛ أحُّ صُفْرَتِهِم

الغريبُ للغريبة:

طَمروني يا الغريبة،

عُتِّقْت في المأبد،

أنْشَمُّ مِنْ على بُعْدِ النّور،

أُسْفَكُ هكذا بلا غبينة،

سُوَري عمياء،

لكنّني،

أفتح كفي فيقرصني الكريستال الهائج:

((يا ربي،

سقطت الكبريتة مِن السماءِ مملوءة ببذور الليمون!

تُرى،

أأبَصَرُ سُوَرِي؟))

كنت حويصاً كَطَلْق ونادماً كالفحم على نمنمة الشّجر

كنتُ يا الغريبةُ كماناً مائيّا داخل حَجَرٍ عارٍ

كنت الأهطل المتبقّي يتَرَمَّق بين الخُلْدِ والمخلب

كنت الذي يهبِشُني بطينٍ أمرد ساعة يَتَلَبشُني حنكُ الصّوف

كنتُ طبّاخ التواريخ القطنيّة

كنتُ الحصير المبلول في ريق القمر

كنتُ خوارزميات صغيرة تقصّ أظافرها داخل بال القصّاب

كنــتُ الناقــص جســداً وهــو يعــدو حامــلاً أثــداءً ســماويّة هاربــة مِــن حفاهــا ومُلاكــةً بآلهــة يمــدّون أقدامهــم للحنّانــات وهــم مســتلقين عــلى عناقريــب صوتيّــة في ظــلِّ كيــس النايلــون الصباحــيّ

كنتُ أبيع الليلَ ملابسَ النهر ِالمقايضِ عريه بخلود الكُتب

كنتُ الصفد في جبين الكلمة الناسكة داخل فمّ اللبن

كنتُ الفتوق النَّباتيّة في سروال الصوفيّ

كنتُ ما سأل الدُخْنُ (أسمرَ اللونا):

((أهيَ المزوق؟))

كنتُ الغريبة يا الغريبة

الغريبةُ للغريب:

ماذا سأكون والخُرْمُ كانَنِي؟

ماذا وكُلّي بابٌ واحد علّقتْهُ المشيمةُ فوق وحلِ العُنْصر؟

ماذا والرّتوق فرهدها فحلٌ داخل نعظ المراتب؟

كيف لي يا الغريبُ ظنُّ البيضة؟

وكيف للبيضةِ هذا الضّرس المفعول بفِعْلِه والأوانُ سيكذب؟

ماذا بناتُ آدم فاعلات بزهدٍ يتجوّل بين ضفائر الجّنّة؟

وماذا الجّنّة سوى ما نَسِيتُ على بنبرِ المغرب؟

كنتُ الغريبُ يا الغريب

رُتُوق

الأوّل

حُسَّـابٌ مَخـدوري البَـصَر يتهامسـون فُتوقَـاً تَنْبـح داخـل قَـدَم الريـح، وأعـلى غُـرّة النـدم، سـيكتبون بأصْفَـرِ الخطايـا:

((حرائُقنا تنامُ في الزريبة؛ فما

شُغْلنا بالرِيح؟))

شَغَفٌ مُتَوَجّدٌ في غابةِ الخَرف؛

شَغَفٌ يسْتحمّ الجيرُ على كتفيه بأشْبارٍ طائرةٍ؛

أشبارٌ تمضغ بروقاً ممسوسةً بكريرِ البقّارة؛

بروقٌ ستكتبُ بالبزاقِ، أسفل غُرّة الندم:

((فَتْقٌ؛ وفُتِقْنا؛

نيرانُنا وبِلا فِروج؛ فما شُغْلُنا بالسِروج؟))

خَـرَفٌ سـاءه المَرِكـبُ ينظـرُ وَلِهَـاً مسـعوراً لبظـرِ السِـقالة يخْتنـه الحُجّـاج المائيّـون بأسـنانهم، وهـم يصرخـون بِهِ:

((يا تلحينُ؛

يا ابن الكلبة))

هـوَ الغَـرَقُ في شِـبْر السُرْعـة، هـو جلْـدُ المـاء بأحزمـة الـبرزخ، هـو جَـرُّ الأبديّـة مِـنْ لُقْمَتِهـا وهـي تـأكلُ أيـامَ الله السـبعة مِـنْ صَحْـنِ الـرِّقّ؛

الرِّقُّ الغاضبُ داخل كفّ المُغنّي:

((كيف مياهيَ بِذور؟

خَدَعْتني يا طَيْرُ))

يا ربُّ:

((هي الحانة الأخرى،

في الحركة الأخرى،

جَنْبْ الرّجفة الأخرى،

فما شُغْليَ بالتوبة؟))

هي الرّتّة الأخرى

هي رنّةٌ تَنتَظرُ فتّة ريالٍ في مقبرة أخرى

الذّهبُ الأخرى

الولدُ الأخرى

البحر الأخرى

الغُرَرُ الأخرى

نَهْـدٌ طـانٌّ داخـل منزلـتي الأخـرى؛ مَنْزِلـةُ الجسـد في وَيْـلِ جَسَـد، مَنْزِلـة البُكْـم بـين الشَـبَقَيْنِ المَحْروسـيْن بالسّـالِكِين؛ وادٍ تَخَنّـث في صلعـة الكتـاب؛ قـال المكتـوبُ:

((تَسْقيني تلحينك وأسقيكَ نُموريَ؛

فما شُغْلُنا بِكَيْف؟))

جُـرْحٌ يَسـفُّهُ التُّيـاهُ، فيَبْصِقـون القبورَ لابسـةً نوتات الموسـيقى؛ الموسـيقى الـ تَتَعـرّى وتَقْتُلْ

والتُّيّاه؟

تقول القبورُ المَبْصوقة:

((أنا الجَسدُ؛

فما شُغْليَ بالموسيقى؟))

إذاً،

ما الأُخْرى؟

أحجرٌ عَرِقهُ الكشفُ؛ فصرخ:

الأُخرى هُتّافٌ مقطوعي اللّسان

وأياديهم منزلة

وعيونهم منزلة

وعجيزتهم منزلة

وحديثُهُم رُتَقْ

حديثُهم لَحْمُهُم

ولَحْمُهُم يُخمِّرُ كُتّاباً فوق واوٍ رهيف؟

يا هَدْرُ

يا المُنْحدر ناحية الفَرْض؛

فَـرضُ الطّنّــة ســاعة تُلقِمُــني الأبديّــةُ ثدْيهــا الرّبْــو مُرَبِّتــةً بدراويشــها عــلى ظهــري بمــرضٍ يابــسْ

يا هدْرُ

مالَكَ هكذا مُدّهناً بالحصى والطُرُق؟

مالك هكذا كميراثٍ أثقل من هدريَ فيك؟

مالك تَنْشَفَ ساعة أشِفُّ وأتَسَهّم نحوك؟

مالك تَقْنِتْ ساعة نَتَوجّد نيراناً في غَمْرِ الدّرويش؟

أأنا مَنْ ثَقَبَكَ بالفرض؟

أمْ الرّتوق خدعة أخرى للمهبل؟

المهبلُ المُعلّق كالشرموط فوق الرّسوم

الرُّسومُ الرّسُلُ الخائضين في الأجنحة؛

الواحلين في السُّوَرْ

أأنا هَدْرٌ في المّمرّ؟

أم المَّمرُ فرضٌ آخر؟

أمْ الفَرْضُ حيلة؟

أهو شَبّةٌ أخرى للحركة؛ حركةُ ربٍّ داخلِ رَحِمٍ فَرْضْ؟

أأنا مَمَرّ إلىّ؟

أمْ أنت حِيَل؟

والفروضُ، أَلَيْست كهولة؟

والكهولةُ، أليستْ تَدْوين؟

والتّدوينُ، أليسَ الزهور؟

والزّهورُ، أليْست حركةٌ أخرى؟

وحبيبي؛ أليسَ حركةُ جسدي؛

حركةُ زهرةٍ يابسةٍ في حوشِ الله؟

إذاً،

يا هّدْرُ،

اتّجِهنِي

تسَهَّم ناحيتي

وتَهَدَّرَ نحوي

وتَسَبّبَني أيُّها الضّاري

ولوْ مّرّةً كُنْ سَبَبي؛

لأنْجو.

والنَّجاةُ؛

أليْست عناد؟

أليست غُرباءُ يَتَحانُّونَ والطّار

يهتاجون

يتناهبون

يتماثلون

يتشاحبون

يلتاثون

يتوثّبون

يَتَصافَرون

يَتثاقبون

يَتَجاسدون

فيتسَهَّمون نحو بَعْضِهم

ويتَلَيّلون في واااٍي كبيرة؟

إذاً،

يا هَدْرُ،

الأبديّةُ تَصْوير؛

فَلِمَ الصُّورُ هائجة؟

ولِمَ الأرضُ عقربُ نورٍ تحت جفنِ الضّرير؟

ولِمَ الهِياجُ سلالمُ نُورْ؟

ولِمَ الهياجُ مفعولاً تحت البخور مهووساً بِحَوَصِ البَخْرة؟

الهياجُ الهائلُ المُبَرْطع على لسانِ الحديد

الهياجُ فتاقُ النواحيَ عند الإشارة إلى قدحٍ في بطن المومياء؛

القدح المملوء بالسماء

إذاً،

مَنْ المهتاجِ داخل قطرة النيون؟

أهو عُصَابٌ معلّقٌ من كعبيه فوق التّكاشف؟

أهي حبكةُ العُنْصرِ في ذُهانٍ قديم؟

أهي مَصَافٌّ هائلةٍ لحَدادٍ سائل؟

أهو بَقْرُ بطنَ الخليقةِ بعيونٍ هَرِمةٍ؟

أهيَ أنْهارُ كلامٍ نُحِرَتْ بدموعِ العبيد؟

أهوَ شجر التَبَلْدي مبصوقاً داخل الكُتُب؟

أهيَ العدالةُ واقفةٌ على جبل مَرَّة، ينكَحُها المَرَدَةُ الملتحون؟

هوَ هياجْ؛

هياجٌ مُشَقّق ليْس إلّا؛ هو تفسيرُ التَلْحين بالمساطرِ والبراجلِ والمثلّثات

الثاني

أهابُكَ أيُّها الهائل

أهابُكَ أيُّها المتوحّش

يا مِنْ تَوَحّشتَ مُذْ جئتُكَ وجمالُكَ نبذٌ هادر، وصوامعُ مُوجِّدين؛ سُرّاي الصُفْرة منذ نهقَ الكريستال عند قدميّ آدم؛

فَفُتحَ الكتاب،

وسقطنا مخطوطاتٍ صُفْرٍ مِن شجرة الأولاد

مُذْ تَوَحّشَ فيّ جمالُكَ حتّى فِضّتُ عقارب ماسكةً داخل قلبها سِرّ الترزيّ الفضائي الذي مات وهو يحيك جناحاً لبئر

السرمـد؛

الترزيُّ المثليُّ عابدُ الفهد الأوّل؛

الـترزيُّ الـذي سـحل عينيـه رفقـاً بالبـئر وصـار إلى مـاءٍ فـضيٍّ سـيشربه الأولاد الصُفْـر فيكتبـون عـلى بطونهـم:

((أبانا وقد لحّن الفهدَ))

مُذْ الوَجْد تصاويرَ تشبه البُرْجُم، ليس إلّا

ومـذ الفقـد الأوّل علـومٌ يبْعرهـا الزجـاج المُلـوَّن في طوافـه حـواليّ صانـع الـوَرْد المُنشَـغِل بـأكلِ البَخْـت؛

البخت الذي قال في سرّه قبل أن يعبر النار:

((اللعنة،

نسيت أن أُطعم السمك))

ومذ الهائلُ الأبُ طلسمٌ معدنيٌّ، ليسَ إلّا

مُذْ الوقتُ بِدْعة والمَجَرّةُ هجران

مـذ الكثيـف طيـورٌ في بـالِ الـترزيّ، والسّـديمُ خشـبٌ يـئنّ شـوقاً لمـوس القابلـة وهـو يغـنّي للعَجّـور الطربـان داخـل بظـره

مذْ الخفّة طَوْطَم

مُذْ الهلاك المُدَسْتِر في الرؤيا

مُذْ الهائل الجُّقُبْ

الجُّقُبُ الهائلة كشيءٍ ميت في قعرِ سلك النحاس

مذ الأقواس المنصوبةُ في المُنْذِ المُتَخَيّل؛

في المُنْذِ المَلْسونِ وأصابِعه طَيَرانْ

مُذْ الجَّمال حَبَات عَرَق على جبين الظّلْمة الأمّ

مُذْ الفناء تَتَوْأمَ والنّار داخل رحمٍ ناسكٍ في طيرانٍ مَنْسَكْ

الثالث

(١)

حَبْلٌ صغيرٌ يَشْرَحُكَ لقمرٍ لا يَعْرِفُك،

هكذا،

ويداك قبالة وجهك لتقيك لَطْمة الظّلمة؛

لتَقِيكَ لطمة ما تراه يداك.

كوكبٌ صغيرٌ في أبدٍ قادمٍ سَيَعْرِفُكَ مِنْ صَوْتِكَ؛

صوتُكَ المسافر على هلالٍ عجوز أهلكه التّلْحينُ،

وهكذا،

ستختبئ الظّلمةُ خلف يديك المنصوبة قُبالة وجهك،

حتّى لا يلْطمها ما تراه يداك

إذاً،

الظّلمةُ ووجهُك؛ مَنْ يَلْطم مَنْ؟

(٢)

الجّثةُ والبذرةُ؛

كلاهما حَركة الآخر

وكلاهما فتقٌ في إبْط الآخر

وكلاهما رتْقٌ في ندم الأخر

البذرة (المسكينة) لا تعرف السّرّ،

لذا،

ممسوسةً بـــِ (ناس بسم الله) تتمسكنُ ضِدّ ظُلْمَتِها

لتَسْمَعَ كيف عُمْرها يَنِزّ مِنْ فتقِ المِعْول

الجّثّة أغوَتْها الجّهة ُ الأخرى للسِّرّ

فذهبت إلى أيْنٍ ورقيٍّ عند ناحيةِ السَّهْم

حيث البَسيط النّار

حيث الأبد طائر ناريٍّ صعلوك

حيث الثقيل القتيل

وحيث الخفيف الفناء

وحيث العرين تَخَيُّل

وحيث سَتُحْفَر يا هائلَ، بدموعِ العبيدْ

إذاً،

الحُفّارُ والجِّهةُ الأخرى؛

مَنْ يَحْفر مَنْ؟

(٣)

ثَقْبُ الجِّهات بالرّسْمِ سيُؤلِم سقايات الأبَديّة المُدَلّيةِ في فضاء الفَرْض

يا لِهَوْلِ الفضاء البائتِ في القبضة!

ويا لمِحْنةِ الهائل المُبَرْطِم في إنْدياتِ الشَّكِّ أقصى حارات الفَرْض؛

الفرضُ الأنْهَكَهُ الحَشَّاشون بالرّتوق

سَيَصْرخ الثُّقْبُ:

((الألم مِهْنة))

سيصيحُ المَرْسَمُ:

((الألمُ تَصَوُّرُ الألم))

سوف لن يقول الفضاءُ:

((أنا المُ خلودي))

هَـلْ شَـقُّ اللّجّـةَ بِسِـكّينِ الفَـرْض أثْقـل مِـنْ رَفْـسِ البنَّايـون هَـوْلَ الأفُقْ؟

وهـلْ جُـرْحُ الكَشْـفِ المُتَمَلْمِـلِ بـين أسـنان الحـبر أخـفّ مـن دَعْـكِ البَنَّايـون بِذِكورِهِـم شَـفْرةَ النّمـوذج؟

إذاً،

الحشيشُ والحَشّاشون؛

مَنْ يَلْطم مَنْ؟

إذاً،

المُدَلّى والمُدَّلِي؛

مَنْ يَسْحق مَنْ؟

إذاً،

البنّايون والنموذج؛

مَنْ حِبْرِ مَنْ؟

(٤)

تجأرُ المرايا:

((الطّمث المكسور في جيوب المعدن،

الشَـكّاكون وهـم يَمْلِحـون لحْـمَ التّراجمـة، بينمـا البَكّايـات يَزِنْـن داخـليَ ويَنْدمْـن الصُفْـرة))

القيدُ نسيانُ القيْد،

القيدُ كومةُ (عَشْميقٍ) راجفٍ بين فخذيّ الجنّة

والتّراجمةُ تَبْريرُ البئرِ ببيدقِ الملك

والتّرابُ أوّل ُمَنْ كذّبَ النعامة

إذاً،

المرايا والمساحة؛

مَنْ صِفْرُ مَنْ؟

إذاً،

الشَكّاكون والبكّايات؛

مَنْ قارب مَنْ؟

إذاً،

القيدُ والجنّة؛

مَنْ تفّاحة مَنْ؟

إذاً،

التراجمةُ والبئر؛

مَنْ غلام مَنْ؟

إذاً،

الترابُ والنّعامة؛

مَنْ سرّ مَنْ؟

الرابع

نهْبِيَ الرتوقَ مُلَحّنةً من دُكّان الوجود

نَهْبي البيضة الأولى مِنْ مِبيض الأكورديون

نَهْبيَ خفّة اليدِ مِن أنزيمات (طبقات ودْ ضيف الله)

نَهْبِيَ فستان الليمون مِن قُبْلة البنت

نَهْبِيَ كفّيَ نَدمي عليك المدفونتيْن في بال الليدو

النّهبُ الفاتن هو الشَجَرُ الـْ بلا رَهق؛

الشَجَر الذي يعرف الله مِنْ مَشْيته، ولا يخاف،

النهْبُ السماءُ الْغَنّايون السُود؛

مَنْ فُتِنوا ببعضهم على كفِّ الرَّمق؛

فسُرِقوا إلى حيث الفاتنُ يُسْرٌ بلا يُسْر؛

فَلُحِّنوا على أنغام البامبو،

وماتوا بلا تعبٍ، شأن كلّ مُلَحَّن

قالت:

المعنى ويلُ الـْينام بلا ناحية

وما النّاحية؟

شَكٌّ يُفَرْهد في الغلمة

يُعْصَرُ بين كفيّ خيالٍ غلام، فَيَزيتَ نواحٍ كثيرة

أيُّ النّواحيَ أُمّكَ؟

أُمّيَ النّواحيَ تهْرشُ الوَدْعَ تحت جلد الحنان؛

الحنانُ المُرَقَّم بالسلاسل

كل سِلْسلٍ كُفْر نور

وكلّ رَقم حيوان

وكلّ ظُلْمة أُمّ

وكلّ أُمّ أنْ تبلى!

الخامس

يَتُها المَرْعوبة في اللّذة تَسْقِينَ أسافينَ الضوء مفاتق

تتحيّنينَ مَنْزلةً في الرُّعْب

فَتُسَاقُ إليكِ الفتنةَ مخشوبةً بالأباريق

أباريقُ تُهَسْترُ بفروجِ الأسْلاف المسكينة

يَتَهَلْهَلُ في الفردِ خلقٌ كثيرين

ناحيَتُهُم الخَمر أيْنَ تتخمرين في الرُّعْبِ يا المَرْعوبة

يَتُها المُلْتَذّة في الرُّعْب

المآلُ جسدٌ في الفكرة

والفكرةُ كَكَثيرين؛ لا أحْدْ

وخلُودكِ كطينٍ هامسٍ في الخجل:

((يا ربّي،

هل تُغَنّي الجّبالُ ساعةَ تَسْكر؟))

وجَسَدُكِ كَبَحْرٍ حانقٍ على ضَفّتيه باكياً:

((يا ربّي،

هل يَعْلم الطَّيْرُ انّهُ طَيْر؟))

أقْصاكِ كالرّيحِ حين تَتَلَبّش:

((يا رَبّي،

هلْ أبدي في المُنْتَهى؟

وهلْ يراني الشّجر كما أكْتبه؟))

هكذا يَلْتَذّان؛

المُلْتَذُّ:

اللّذّةُ حُزْني

المُلتَذَّةُ:

اللّذّةُ هوايَ على وَحْدتي

المُلْتَذُّ:

أراني بعيونِ غَيْري

هكذا أُلْقِمهم شَكّي فيعْرَقونَ لذّتي ويفيضونَ بي

فَأُفْتَقُ أكْثرَ، ويُرَتَّقون أكْثر

يَتَجَاسدون لذّتي، فأهْتَامَ فَيْضهم

أهْتاجُ في رُعْبِهِم؛ يأنّون:

أيّها المُلْتَذُّ بالفتق

أيّها المُلْتَذُّ بالفتق

أيّها المُلْتَذُّ بالفتق

المُلْتَذَّةُ:

أحزن فأبِيضْ

أبيضُ فأفِيضْ

وهكذا يُكَلِّمُني ربّيَ مْنْ وراءِ جسدي

المُلْتَذُّ:

في الما قَبْل، كنتُ خالٌ على ثدي كَلْبة

المُلْتَذُّةُ:

في الما بَعْد، كنتُ الكلبة

المُلْتَذُّ:

وما الآنُ؟

المُلْتَذُّةُ:

الآنُ شرارٌ بين حجرين نائميْنِ تحت صُلْبِ الكلبة

المُلْتَذُّ:

وما الكلبة؟

المُلْتَذُّةُ:

ومَنْ سوى مُشَفِّرين عُميان سرقوا الماء المكسور من تحت وسادة عماهم؟

المُلْتَذُّ:

هل الرّعْبُ طاقة؟

المُلْتَذُّةُ:

المجازُ هو الطّاقة،

أفاعيلُ خشبيّةٌ صكّها السُّراي،

ولم يظْمأ بعدها كَشْف

وَلَمْ غيرُ المجاز كان العورة

وَلَمْ غير الرّعب كانت الطّاقة

المُلْتَذُّ:

وما الرّعْب؟

المُلْتَذُّةُ:

الرّعـبُ بحْـرُ تلحـينٍ تسـير عليـه مُرَتَّـلاً والعمـى مُمْسـكٌ ماسـكاً الزّمـن مـن قرنيـه المُلَحِّنانَـكَ

الرّعـبُ بحـرُ أرواحٍ رَقميّـةٍ تغْـرق فيـكَ، وعمـاكَ أرقـامٌ؛ مَحـض أن تبـلى، أنبيـاءُ أصفـارٌ يلِـدون في سـاقِ الريـح، السّـاقُ جَنّـةُ الفهـودِ الصُفْـرِ

والرِيح؟

مُـدَوِّنٌ مفتـونٌ باللّـذة، ومنْفِـيٌّ داخـل جَسَـدٍ كيميـائيٍّ في جُـزِر الأرقـام الفرديـة

الرّعـبُ وأنْ تفـنى؛ قطْـفُ البيـض سـاخناً مِـن شـجرة السـمك، نهـرٌ درويـشٌ يحلـب الفِلِـزّات مُغنِّيـاً:

((رِدْفاكِ ساخنان؛

ساخنان يا دنيا))

لا ترى، فَتُلَوَّن وتَسَّاقطَ مِنكَ الفلزات

وتصيرُ إلى طاقة

تَصير في المَراتِبِ دراشاً ويأكُلك طَيْرُ أنْ سَلَكْتَ

فيخْرَأكَ كَشْفٌ، تحت حِجَرٍ ميت؛ شأنُ كُلّ مُوَرِّق نجوم

هنااااااك؛

في الصّفْرة.

إذاً،

ما الطاقة يا ربّي؟

أن تُخْطيء ولا تندم

المُلْتَذُّ:

أيُّ صُفْرة؟

المُلْتَذَّةُ:

غضبُ المسمار من جسد الرّاقص

حسدُ المطرقةِ خفّةَ اللّذة

حّدْرَةُ الصّنم في الظلام لخيلِ البلازما

حرقُ الكهرباءَ بالفيوض

أيُّهما خُلِّد؟

ولن تعلم،

لذا صار الحيوانُ حيواناً

المُلْتَذُّ:

الخيالُ حُسنُ ظنٍّ بألم

ولا معنىً أخفُّ مِنْ منزلةٍ لَمْ تُجرّب الفَزع

الخيالُ حَطَبٌ يتأوّهُ داخل تمثال.

المُلْتَذَّةُ:

إذاً،

يدي أقصىً أبديٍّ في فزع التّمثال

ويداك فَزَعْ

واللذّةُ مُلتَذّة!

اللذّةُ:

لا أعْلم.

نُبَاح

(١)

لثغلٍ يكاد تنْطقه الوردةُ

لمثاقيلَ صَوْتُ اللّيْلِ أرْهَفُها

لرَبّةٍ باضها النّحاسُ بين جَبَلَيْن يَتيميْن

لي،

ساعة يَشْهَقُني ما أضْحَكَ النّحاس حين باض الرّبّة.

للنّحاسِ،

بينما الطّيورُ تعبرُ باطن الأرضَ في حُلمه.

للطّيورِ،

أنبياءُ باطن الأرض، مَنْ كَفَروا وانتهوا إلى نور.

لكلّ هذا،

أنا باطنُ الأرضِ

وأنا البذرةُ

وأنا الأبدُ الرَّخْو

وأنا فطرٌ على هيئةِ النَّدم

إمّاحقُ والدوائر

أبيضُها فراغيَ كأُفَرّغُ فيها

فَتَبيضُني مراتبَ وقبورَ، شأنُ كلّ دائرة،

شأنُ كل فراغ،

شأنُ كلّ منتهٍ إلى نورِه

(٢)

مُسْتلقياً وسط عاصفة

وحلْمةُ قبرٍ بين شَفَتيّ

تُرى!

أيُّ تَولّهٍ سأرْضع؟

وأيّ ثديٍ سيندمُ ساعة أفيضُ؟

أمْ الحلمةُ جذر القبر،

وما أنا سوى الثدي؛ ما سوى سَبَبُ ثديٍ هائل

والقبرُ مَشْرِقٌ ساكن، شمسٌ في ثوبٍ مَحْموم، رَبّاطيٌّ مسكين

(٣)

كَنَمَشٍ على وجهِ مَرْتبةٍ، أُكْشفُ لكَ محفوفاً برعْدٍ مُبَرْطمْ

يُحالُ كِلانا إلى فَيْضِه

ويُحالُ الشيءُ إلى ضيقِه، فَنَضِجُّ

نُدْمَجُ في ضدٍّ باهتْ

نُلْثغُ وناحيتُنا

بينما النَّباتُ يُشرِّطُ نورَ الأولادِ فَهْداً فَهْدا

ويتلاغيان في نهمٍ خَزَفِيٍّ هائل.

النّباتُ والنّورُ؛

أيُّهما شَقَاه كشفُ أنْ تُؤْمِنَ أنْ تُخْطِئ؟

أيُّهما النَّباهُ في ليلِ الرؤية؟

أيُّهما السّمُّ في جوفِ النّظْرة؟

أيُّهما السّبْرُ في الأثر؟

أيُّهما جنحةُ الآخر؟

أيُّهما شقاوة الآخر؟

أيُّهما الآخر؟

والكُلْحةُ؛

أهي الخَطْفُ بيْن رَمَقَيْن؟

أهي الشّرخُ بيْن شِفْريْن؟

أهي الصَّنة بين يقضي ووطَرْ؟

أهي الشّوقُ بيْن جَبَليْن؟

أهي النَّميمةُ بيْن رِتْقَيْن؟

أهي النّمشاتُ بيْن بَيْنَيْن؟

أهي ظفرٌ حارنٌ بيْن كِلِمَتيْن؟

أهي مَقاديرُ أقدار فُتِنَتْ بالثُّقْبِ في حلقِ الواو؟

أهي تفاسيرُ مَشْلوحة في الآخرة؟

(٤)

أيُّها الخلاءُ:

يا المّزْروب بالنّورِ المُسَوّر بعيون الموتى

يا المزروب بالخيالِ المشبوق بين شَفَتيْن

يا هَبّود الغَيْبِ المُشتاق إلى صُفْرةٍ ليّنة

يا الصُّفْرةُ المَهبوبةُ في نَفَقِ الحيّز

يا الشَرْبةُ الواحدة، وبعدِها، الفناءُ في الرُّتَب.

شَغَفٌ،

يا خلاءُ، شَغَفْ

شَغَفٌ مِن حصيرٍ وبِرَكْ

شَغَفٌ فَلَتَ من بينِ أصابعِ النّور، حين صاحَ:

((لِمَ يا ربّي،

أنا المُصْفَرُّ في دَمِ التَّفاسير؟))

نُورُكَ،

يا ربيّ نُورُكْ

مُصَفّدٌ بالطِّيور؛

تُعَلِّمُني تُخْمةَ الويلِ في الجّناح

أُفْقَعُ بين بذرتيْن

أتَحاومُ بين رِيقهما وكُفْري

يهتفُ الفناءُ السّاهرُ بين الطّيورِ والجّناح:

((ها أنا أشيبُ حارساً هُجْنَةَ الأرضِ،

ومَنْ يَنْبتُ منْكُما، أُقَطّعهُ إلى أنحاء))

يُضْرَمُ في الكّشْفِ هذا الشَّغف

يُضْرَمُ مُخَرَّماً بِكمالِ حالِه كَقُفَفِ السعف،

يلوكه الموتى وهُمْ يَشْرَبون الشجرَ مِن أكُفِّ موتِهِم

الموتى السّاعين بين أبَديْن

الموتى الهالكين بيْن سِبْريْن

الموتى المُهَسْترين بيْن مَجازيْن

الموتى المعْجونين بيْن وَرَّاقَيْن

الموتى المنحورين بيْن بيْضَتيْن

الموتى المُسْتَذئبين بيْن آدميْن

الموتى الطَّانين بيْن دَبّاغيْن

الموتى المُشَفَّرين بيْن هِلاليْن

الموتى المُعَلّقين بيْن صَفَنيْن

الموتى المُلَحَّنون بين صِفْريْن نابِتيْن

(٥)

السَّحرةُ وهم يبقرونَ المياه بأظافِرِهم الفضيّةِ مُهَمْهِمين:

((هوَ اللّيْلُ مّنْ سَيَنْقَعُنا في الويل،

ويُغَمِّسُنا كالوقتِ في الأبد،

فَنَشِفّ حدّ تَعْبُدنا الإبَر،

حدّ نُسْحرْ))

يتُها المياهُ الجّذلانة

تُصَلْصِلين مأمورة بالطلاسم

تقرصين الجّمرَ الهيمانَ بين فخْذيْكِ

وتُرْضرضين في البللِ والشّأفة

فتعويكِ ذئابٌ عمياء أقصى الكشوفِ بيْن سواديْن طريديْن

فَتَصْرُخينَ يا المياهُ:

((أنا المهدُ المحلوبُ في زرائبِ الزُّرْقةِ،

يَعْرَقُني رعاةٌ فُتِنوا بهمهَمَةِ السّحرة،

فَسُدِموا في الظّلمة

أنا الجّمالُ المفزوع بين يديّ المُفسِّرين الجُثثَ بالخيول

أنا الصُّنانُ المُهَتْرِشِ في الفّزع

أنا المسافرُ بين الأسفلت ومَذيِّ المرأة؛

مُذْ عافني خُرْسُ الأولادِ؛ إلّا، صُفْرَتُهُم؛ مَذيُّ الذهبِ، تَصْرُخُ:

((حارٌّ يا دنيا؛

حارٌّ هذا السَفَر))

أنا؛

يا أنا، المسافرُ في الرُتَبْ؛

كَقَصَبةٍ بَريّةٍ كانت ستكون نايا؛ لولا بَقَرةِ الرُّتَب))

(٦)

للْهَولِ المَعْصورِ بين ضرسيّ شغفٍ ألْجن؛

لَهُ،

راسفاً في الخلايا، مُنْتَهٍ إلى صَفارْ

صَفارٌ مُهَسترات تحت صُفْرتِه أكفُّ الكشوف

يا الهَوْلُ

ليَ ما نَثَرتَ تحت قَدَمي الطّاقة مِنْ مُسافرين بلا أجساد

ولكَ ما يَخُطُّني به المخطوف ناحية أنْ يَزْنيَ النايُ

وللطّاقة ما نَدِمَتْ عليه؛ نَدِمَتْ، فانتهى الكتابُ إلى قَلَمٍ مَذْعورٍ؛ وانتهى القلمُ إلى لِباسٍ كهربائيٍّ قصيرٍ تنام تحْته نجمةٌ مُبَرْجِمة؛ النجمةُ وثديُها ساجدٌ للناي؛ سَجْدةٌ خشبيّةٌ داخل سَفَرٍ ماشٍ مشيةُ الطاقةِ في بطنِ الكتان

وللنَّدم ما للتّماثيل مِنْ خلودٍ مَطْعون في جناحِه

وللخلود عَرَق الرّاقصات الكوشيّات وهنّ يُثْقَبْنَ وتَزْنيهنّ الطّيور؛ يُطارِدْنَ الحيشانَ المذعورةَ كالدجاجِ في حيشان

الطاقـة بعُـصِيّ مـا دمـعَ رَقْصُهُـنّ عـلى نـدمِ التماثيـل

مَنْ سينجو إذاً مِنْ اللّذة؟

لذّةُ القتلِ تحت قدميّ ندمِ التمثال

مَـنْ سَـيُكسِّر بصيرتـه بطَـرقِ السّـببُ بـابَ قطـرة المـاء؛ القطـرةُ المُتَغَضّنـة في جيـب قمحـة بخيلـة؟

مَنْ مَطْروقُ مَنْ؟

ومَنْ سَيَلْتَذّ بندِمِ اللذة حتّى يصيره النّدم؟

فَيَنْدم حتّى ينجو،

وينجو حدّ يغيب؛

حدّ يصير عتموراً صغيراً تحت بصقةِ الباب

أهي الرّوح يلاعبها المثليّون وهم يهدهدون البرازخ؟

هل ْهو الجَّمال المفزوع بين بيْنين؟

هل هو الخلود المعصورِ بيْن ضرسيْن؛ شفقةً على الهَوْل؟

أمْ هو الخلود المسهوك بين ردفيّ عتمة؟

أيّهما؟

أيُّهما تَركة حرّفتها الرُّتَب؟

أيّهما عذّبه هولُ ما ترك ناحية جَلْدُ الفُرْجةُ؟

أيّهما دمّل تحت آخرِ الآخر؟

أيّهما آخر الآخر؟

في سِيَرِ الكلّاب والخطاطيف

وقــفَ الخــلاءُ أمــام تفســيرِه العامــيّ مُرتجفــاً، يرشــحُ مِنْــه الخزّافــون، حامــلاً أرنبــاً حديديّــاً مِــن أُذنيــه،

صَرخَ متوسّلاً:

((يا ماشُّ؛ يا تفسيري:

همزتــني مخلوقــاتي في خــاصرتي بكعوبهــا ذات الصُفْــرةِ المــزروعِ في عضلتهــا السمســم؛

عضلة ُالصُفْرةِ المشدودة داخل الحُجُب؛

الحُجُــب اللغويّــة، والخزّافــون فَرِحــين، يذبحــون الذئبــة تلــو الذئبــة عــلى شــفاهها؛

الحُجُب الـْ تحملها السماءُ المسافرةُ مصرورةً في ثوْب التُّلْ،

خلائيّــون بياضُــكِ هــذا يــا كلمــاتُ كَفَــرة كَــوش، بنّــاؤون طَيّانــةٌ سُمْرٌلابســين عراريــق النــور يُسَرّحــون مســاير الطــين قبــل يكتبون المداميــك جدرانــاً في خيــال الوِدْيــان الرَقَميّــة،

عـروقٌ في سـاعد الكلمـات مليئـة بالفضّـة السـائلة، تسـبح داخلها بائعـاتُ القهـوةِ عريانـات إلّا عاناتهـنّ المُغطّـاة بأكـفّ الطّيانة،

مـراودٌ نائمـةٌ عـلى عناقريـبِ المُطلـق، بينمـا المكاحـل مُسـتلقية في السُـلَّم الخُمـاسي فارجـةً أفخاذهـا تحلـم بالمُلحّنـين وتصفيقَ الطنْبارة،

دروبٌ مِـنْ سَـعفِ الـدوم يسـير عليهـا الأولاد الصُفْـر بعيونهـم وهُـمْ يقـرأون الأسـفار للبنـات ذواتِ المسـاير؛

البنـات الكبّاشـيّات داخـل هوادجهـنّ وهـنّ يأكلـنَ الطّاقـةَ كالترمـس ملقيـاتٍ بالقشـور باكيـةً لحنـان الأولاد الصُفـر،

الأولادُ الصُّفْـر وهـم يبْـشُرون البـارود كالجـزر عـلى خصورِهـم النّـار

قُفَـفٌ مِـن السَـعَفِ يبيـض داخلهـا الغـزاةُ السَّـماويون كُتُبـاً تحـكي عـن النهـر المكسـور داخـل قلـبي؛ قلـبيَ وأباريـقُ الفخـار تُقرقـر حلوقهـا بـه،

غنـاءٌ يابـسٌ تحـكّ بـه السـيولُ ظهرهـا وهـي تتقمّـر داخـل عصيـدة الدُخْـن،

دُخْلـةٌ محروسـةٌ بالخطّاطـين بينمـا الغُـرَفُ الطينيـة تنـوحُ بـين شِـفريَّ مـا سَـيُخَطَّ خائفـةً مِـن أقـلام القصـب؛

القصبُ السروالُ العارف سرّ النيليّين السُمْر؛ قائلاً للخَطّاطين:

((واللهِ،

أعْرِفُهُم مِنْ بُكاءِ أقدامهم وهُمْ ينظرون لِقَمَرِ (أربعتاشر)))

لكنّه،

كعادة الـْ زاباتيدو وموسيقى المامبو، سَيَسلّ مِنْ شَعْرِهِ الأحصنةَ تاركاً سِرّه للخلودِ يُلَقْمه التأويلَ بلا تلحين،

أولاديَ الصُفْرُ وهم يرقصون الرومبا والتشاشا على أيقاع الغيرو وموسيقى الكاليبسو،

صفارُ أولاديَ قُبّار كوش وحَمَلَةُ نهودها التسع والتسعين للمَلِكة اليابسة على كَتِفِ الوقت كالجبال؛

صفارُهم الخوارزميّ ذو اللبن المُجَفّف كاللحم على حبال البالمبو،

الفضاءُ؛ فضائيَ المفجوع بين جُرْمَيْن سماويّيْن سقطا مِنْ حُلم الأولاد وهو يهرول عرياناً داخل (حُقْ) الدِّلْكة،

أأنا الخلاء المُنْفتِح على تفسيرِ خُفُّ الجملِ أثرَ العذراء داخل السنام؛ أمْ حقول الذرة البيضاء داخل (دِكّة) سروال الربابة؟

أأنا الصُّفْرة كصُفرةِ الغسق بادية على أسنان الأنْفَاق وهي تعضّ حَلْمة السرعة الهاربة مِن مُغَنّي الأبديّة المشغولين بعراكِ بُعْدين داخل فيلم الماتركس؟

أأنـا مُخيّـط الأكفـان وهـو ينهـر العمـى بعصـاه مِـنْ شـاي المغـرب قبـل يُغـنّي:

(((فَلَقَ الصباح، زورني)؟)

أأنـا بسـيطٌ كخـالٍ مُخيّـطٍ في قعـرِ بَعْـرة، أمْ وَعِـرٌ كَـروحِ فلـوتٍ يجرهـا عزرائيـلُ بحبـلِ مَنْطـقِ الطـير؟

أمْ، أنـا -ببسـاطة- حكّـةُ الخليقـة إبـط الجهـات المفتوحـة عـلى حـروبِ المعـاني واللغـة؟

أمْ هُوَ إسراف البستانيّ الفضائيّ في سبِّ السَمَك؟

أمْ هـي فداحـة أن تُنْكَـحَ البنـتُ ذات المسـاير تحـت شـجرة السِـدر بألسُـنِ المُـدَّاح؟

أهوَ تفسيرُ تفاسيريَ يا ماسُ؟

أهو الخلاءُ وحيداً وبلا حبيبة كالأناناس المهجور في العِلَبْ؟))

قال الماسُ، وهوَ يضمّ الفهود كالكُتُبِ إلى صدره:

((آيـتيَ الـذي يـئنّ القوافـلَ مُزْبـدةً، وهـي تتـدلى كالعناكـب مَـن سـقف المركـب الفضـائي ذي المسـايرِ والشـلوخ ِ

الأربعة على وجهه،

آيـتي مُغـنيٌّ الأوبـرا وهـو يغـلي داخـل التينـور مِـن شـدّة الحَـرِّ داخـل نَهْـدي الواحـد،

آيـتي العصفـورُ الحديـديّ وهـو يُـرِي أزيـار السـبيل أثـر عضّـة التينـور عـلى عنقـه؛

الأزيــار الــتي نبتــت مِــن الأرض ممتلئــة بالمثليّــين وقمصــان الدَّموريّــة وأشرطــة الشَّــعْرِ المُلوّنــة،

سَيُقْسِم المِثْلِيّون للأزيارِ، وهُمْ يُشِيرون للفضاء:

((واللهِ،

كُنّا أشْرِطة كاسيت؛

هُنااااك))

آيتي حنّاءٌ نثريّة على ظفر هاتف النوكيا،

آيـتي سـياطُ العَنَـج والأولادُ الصُفـر يقرصونهـا في أردافهـا الكبـيرة مُنْتَقِمـين للواحـة الجّافـة،

آيـتي الجالـوصُ فارشـاً النـارَ، يحاجـجَ الأجـرام السـماويّة اللصّـة في أسـواق الكبريـت المبلـول:

((واللهِ،

لولا الجوع ما بعتُها))

آيـتي عمـودُ النـورِ يَسْـتَحِمّ داخـل صحـن العصيـدة ماطّـاً شـفتيّ المسـيد، هاتفـاً في سرّه:

((يا اللـاااااه؛

أهكذا ذنوب النجوم!))

آيتي قُبَبُ الأولياء المنسيّة بين الرسومِ والدوزنة

آيتي دَمُ (الريدة) على نصل المُرِيد

آيـتي قوالـبُ الطـوبِ الأخـضر، وجنـودٌ قسـاةٌ يحلقـون شَـعْرها (الأفـرو) بسـكاكين الجَـلالات العسـكرية، مُغَنِّـين:

((خائنٌ يا غزال،

خائِنْ))

آيـتي بـرازُ البقـرة مُخرِجـاً مِـن جيبـه قلـبَ العسـكريّ، يرميـه للشـمس:

((يا شمسُ،

هاكِ بَعْرَ الملوك))

آيتي حَبَّتا قَمْحٍ تتهامسان داخل نيلِ المِثْلِيّة:

((يا حَبّة،

السَمكُ يَعْلَمْ))

آيـتي مدافـنُ النجـوم في جِنيـهِ الذهـبِ يلْبَسْـنه الكوشـيّاتُ عـلى بناصِرِهــنّ، وهــنّ يَحْصِــدْن الخيــولَ زَرْقــاااااااااء، مِــن عَــرَقِ أزواجهــنّ

آيـتي أن أُعـارك آيـاتي ورُسُـليَ يسـوطون الخيـام في شـاي النِيـل؛ وظِـلالُ الـدوم تعَـرق الشِـعْر العمـوديّ في الإندايـات داخـل قُـلـلِ العـرق، يُـشِرْن بقلوبهـنّ؛ السـاقياتُ الكوشـيّاتُ، لعمائـمِ الرُسُـل:

((وسُمرةِ الجبل،

سَنُنْكَح نَهَاراً جَهاراً بسكاكينِهِم المعقوفة))

خلاءٌ،

خلاءٌ بلا نوافذٍ كنوىً داخل التَمْرة،

نَهْرٌ علَّقَه السرياليون بالكلّابات على أبواب القُبَب،

مشــعوذون يربطــون السِــيَرَ بجُثَــثِ الرمــوز قبــل يُذَوَّبُــون في الحَمــام،

سِيَرٌ تَفْتِلُ الحبال مِن بَحّة يتيمةٍ في كُفْرِ التينور،

هَـلاكُ مِثْـلٍ في مِثْـلٍ؛ نُبـاحُ أبـوابِ الزنـك تحـت جلـد الرمـز؛ مراحيـضُ بـين سـطور الغيـب أبوابُهـا النَّحْنحـة، أهِلّـة خـضراء تسـحنّها الفلاتيّـات بعظـام الرجـال في هـونِ التلحـين،

مسـابحٌ لغويّـةٌ تتكافـرُ والتفعيلـة بينمـا الأهلّـةُ مسـحونةً تضحـك ،

كُفّـارٌ باضهـم تَصْدَيـقُ المُطْلـقِ ولـدَ التلحـينِ الواضـع بـذرة الـلاشيء عـلى كفّـه،

سَـعاداتٌ جالسـةٌ في لسـان القـبر وبـين يديهـا ينـام بَحّـارة الرَمـلِ؛ أولادي، خفـاف البطـون،

عُشّـاقٌ ينزعـون قطاطـي القصـب مِـن رعـافٍ يُدخّـن أقدامهـم، هازئـاً:

((إن كنتم عُشّاقاً،

فعَلِّموني أن أطير))

كلّابـاتٌ نثريّـةٌ تخيّـطُ اللـبن في تَوْرِيـةٍ عاريـة؛ مفعـولُ خـزّافٍ هـذا الولـدُ؛ وصُفْرتُـهُ هلـعٌ خـوّاف،

يا للخزّافين وهم يتساقطون كالفاكهة مِن نورِه الناصل!

مومِسـاتٌ يَبِـتْنَ بـين الأرقـام؛ يُشَـطِّفْن الدهـورَ الفلكيّـة بـين رقـمٍ وآخـر، ثـمّ، يَسْرِحـنَ بالأرقـام بـين الأرقـام:

((عَلينا جاي؛

أرقامٌ بناتُ أرقام؛

آياتهنّ الأيام؛

عُريُهنّ حُروف؛

أسبابُ حُروف،

وبطلاقةٍ يَنحَنِيْن، فيسيل الأولاد مِنْ نورِهنّ

واللهِ،

كُنّ يُرِضعنَ الماسَ سِبْرِهنّ قبل قرونٍ قليلة

واللهِ،

في جنّةِ الأعْدادِ، كُنّ الأيام))

يَبِعْـنَ الهـواءِ الهـواءَ، يَتَجنّـبن الصِفْـرَ؛ الصِفـرُ القُـرطُ في أذُنِ آدم.

هلـعٌ فخـاريّ يتلاحـنُ والأولاد الهَلِعـين تحـت لـونٍ يسـلخ لونـه بِصِفْـرٍ مُسَـنّن، يـصرخ الهَلَـعُ:

((واللهِ،

تَحْريف.

واللهِ،

صِفْرُ آدم))

يُصَلْصِلُ الأولادُ داخل هَلَعهم، يَرِنّون تحت الأصفار الحُمَّل، يكتبون بماءِ الأصفارِ الذهبيّ ذي الأجنحة الخزفية:

((أنْ يا هلعُ؛

هي الجسور))

هكذا لُقِّنْتُ الأعوادَ والكمنجات والدلاليك والندم؛ نَصَلَ سروال السبرانو؛ بانَ رِمْلُه؛يااااااا مَدَدْ؛ تقريعُ معدودٍ العَدِد، خِفَّ يا مَدَدْ، خُلْعةُ الجسد في الجسد،

ما الجسد يا مَدَد؟

مَدَدٌ يئنّ مُلحَّناً تحت مَدَد

ما لَهُ هكذا رهيف؟

لأنّه بئر شقراء؛ شُقرةُ لا نجاة، تسْبحُ في نهرِ رِقّةِ الوَلَد؛ نَهْرُ خُذْ قلبي مُقَطَّعاً بالمَدَد؛ وبِعَصِيِّكَ هُشّ العتاميرَ عنْه، ضَبِّبْه كالخناجرِ بجلدِ الماعز، أرفعْهُ عالياً كَرُوحٍ قَمَريّةٍ؛ ووسطِ قلبِ القماشِ الحارسِ نجماتيَ اليابسات في قاعِ النهر؛ اغرِسه كاملاً؛ كاملاً كَلَحْنٍ مُهَشَّمٍ يكْتبْنَه الكوشيات بالآبار على جباه غابات الطلح الطائرة؛ يَكْتبنه بالأعداد وهنّ يحلبن الأغانيَ صفراء مِن غابةِ العدد، يكْتُبن:

((تنجين يا بئرُ؛

إن نجا هذا الولد))

ماءٌ يعِدُّ على أصابعه المُخَضَّبة هَفَّ المُلَقِّنُ؛ ماءٌ يُرَتِّل ظلّه السارحَ بالكلمة الأولى:

يُدُك مُرّةٌ والعُميانُ يَخُبّون بها داخل التوريات؛ يَدٌ صلبة كَيَدِ النور تعصرُ ريقَ الفساتينِ في جنّة الأولاد؛ ظُلْماتٌ عُميانٌ مهتوفون كالأبد في المَدد؛ حُفاةٌ توريـاتٌ مُسَمَّرةٌ بالدلاليكِ على مرارةِ يَدِكَ يا صانع

بِشواويلِ هَبوبٍ في عيني سأُبْصر الرِئةَ الأمّ،

بقِنطارِ تلحينٍ داخل أصبعي سأمُسِك الجبلَ مِنْ دمعتِه الأمّ،

بِكيمانِ عَطْرونٍ في سَهَري سأُمشّط شِعْرِ اللون الأمّ، بخيولٍ حجريّةٍ في ذَكَري سأفضّ بكارة الماسّة الأمّ، بجُثثٍ في لوني سأرسم الجثّة الأمّ،

بأسنانيَ الزنجيّة سأعضّ رقبة المخطوط الأمّ؛ أُرْضِعْه العضّ وأُلِحّن لحْمِه؛ لَحْمُه الـــْ يَدُكَ يا صانِعْ

يَدُك الخلخال في لسانِ صِنْعَتِك، النِصالُ في رئةِ الهائل، الفناءُ بلا سقوف

يَدُكَ (الديجتال) تَعْصرُ حَلْمة المدخنة حيث تَطّلّح الكُتُب

يَدُكَ المزروعة عليها أجراس الحديد وأبراج الأرواح

يَـدُك وهـي تبيـضُ شموسـاً ومبايضـاً وقراطيـسَ ورقٍ ممتلئـةٍ بخُـصى شِـعرِيّةٍ

يَدُكَ الجسدُ في الجَسد، الصانعُ المَدد... يااااا مَدَدْ.

وهـا أنـا أمـدّ لسـاني داخـل التحريـف، وعليـهِ، زرع الأولادُ الصُفْـرُ قراطيـس الـورقِ مملـوءة بالمهابـل، يُنقّـط منهـا زيـت الشـموس، سـألهم الصانـع:

والخُصى؟

قراطيس

والقراطيس؟

تلحينَ مِهْبل

والجسد؟

عَدُّ الزيتُ الشِّعْرَ على أصابعه؛ عَددٌ جَسَد، جَسَدٌ عَدد.

هكذا لُحِّنْتُ يا خلاءُ،

هكذا ختمني صانِعي بالحيوان،

واطْلَقَني في الكَتْمة))

عــلى جُثــثِ الكلمــات، في مقــبرةِ الأجــرامِ الكافــرة بالأبْعَــادِ، اســتلقى الخــلاءُ والمــاسُّ، عاريــان، تَحرســهما البــئرُ الشــقراء بعَظْمــةِ ســاقِ ديناصــورٍ رقمــيٍّ، كلٌّ؛ يَــدَهُ عــلى بطــنِ الآخــرِ، وهمــا ينظــران لِقَعْــر الكــون:

يا ماسُّ، ماذا يفعل هذا الكونُ، بِقَعْرْ؟

حــتّى لا يقــعَ المُجَدِّفــون مِنْــه، وهــم نائمــون عــلى الأراجيــح اللحنيّــة؛ نائمــون يصنعــون البهــارات مِــنْ عجــولِ البحــر في حُلْمِهِــم

ومَنْ أخبرُك عنهم يا ماسُّ؟

يَدُكَ التي على بطني؛ هيَ أخْبَرَتْني

ويَــدُكَ الــْ عــلى بطــني، يــا مــاسُّ، كأن الكُهّــان يَخْرجــون مِــن تحــت أظافرهــا، معتمريــن خــوذاتٍ مائيّــة، أجســادُهم طُحْلــبٌ أخــضر، أســمَعُهُم الآن يُغنّــون أغــاني الســيرةِ وهــم يســيرون في دائــرةِ حــوْل سُرّتي، وجثّــةُ بــئرٍ ســمراء تُحْــرَق عــلى صَنــدلٍ (ديجتــاليٍّ) وســطِ سُرّتي

هل لغنائِهِم بَحّة عاجٍ بين أسنان ملّاحين عَبَدوا زبدَ البحر؟

لا، لغنائهــم رِيــحُ قَرصــةُ الكــون فخــذَ أنــا كامِــلٌ ففيــم يســوئني صمْــتُ الكــون!

أنتَ تتحدّث عَنْ فخْذِ خَطَئي

وما الخطأ، يا ماسّ؟

سَكْبُ الكمال بأباريق أن تُخطئَ وتُخْطِئَ وتُخْطِئْ، ما الكمالُ سوى أن تَنْقُصَ بين يديّ حبيبك، أن تأكلَ عينيه فيراك أكثر، تأكل قلبه وتُخْطئ أكثر وأكثر، أن تنهال بالفؤوس على عظامِه؛ أن تَسْحن روحه بين حَجَريْن سامّين، أن تخونه بين يديه والخطأُ والدناءةُ والعَفَنُ يرشحُ مِنْك، فيقول:

((أحبُّك دنِئاً وخطِيّاً وعَفِناً وخائناً؛ أُحبّكَ هكذا كاملاً يا حبيبي، وصَدِئاً))

كأنّه يا ماسُّ، مسمارٌ يتبرّزه حُلُمِي، مسمارٌ تجريديٌّ على حائطٍ مِنْ فَرْطِ مَنْ بالوا عُشّاقهم تحته؛ صار يَكْتُب:

((أنا النقصانُ كاملاً))

أنا ذلك الحائط

وأنا؟

أنتَ تَجْريدُ المسمار، يا خلاء

تؤلِمُني هذي الجبالُ الـــْ على بطني، يا ماسُّ

على ظهرك؛ ليس بطنك

ألا يؤلِمُك بريقُك هذا، يا ماسُّ؟

يؤلِـمُ مَـنْ يـراه بريقـاً، المـوتُ يؤلـم حُفّـار القبـورَ أكـثرَ مِـنْ الميـت

والحقيقةُ؟

الحقيقـةُ زبـدةٌ لا شيءٍ كبـيرٍ، الحقيقـة تُولَـد وتمـوت كلّ ثانيـة، تَخْلـدُ داخـل عَدَمِهـا، مَـن يؤمِـن يقتـل مـا آمـنَ بـهِ، لا حقيقـة في هـذا الكـون سـوى يُـدُكَ هـذه الـــْعـلى بطـني

أشارَ الماسُّ لِقَعْرِ السماء، قال للخلاء المُنْتَعظ:

ما ذلك؟

ذلك قعرُ السماء

لا، ذلك قَعْرُ بَحْرٍ طائر

الفهرس

المِبْصارُ وما بَهَقَ مِنْ سِرِّه	٧
رُتُوق	٤١
نُبَاح	٦٧
في سِيَرِ الكلّاب والخطاطيف	٧٩

Willows House
منشـــورات
ويلوز هاوس
WH
™